زعيم القاعدة يموت بمعدل مرتين في السنة.. والبحث عنه اضاعة وقت

موت بن لادن لن يكون الحل.. وسيخرج من بين الاجيال من يريد ضرب أبراج اخرى في امريكا واوروبا واسرائيل

■ خلال ايام نهاية الاسبوع وعيد رأس السنة العبرية، مات من جديد بن لادن، فتقريبا بمعدل مرتين في السنة، وعلى نحو ما يشبه الموت الموسمي، منذ أن تحول وأصبح هذا الشخص العدو رقم واحد للغرب، وأن وسائل الاعلام الغربية وجميع جمهورها الذي يتلقى الأنباء والمعلومات منها، تتلقى وتنشر الكثير من الأنباء حول «اعتقاله. إصابته. موته المتكرر». لقد سبق لهذا الشخص أن انتقل من هذا العالم على صور مختلفة ومتعددة، وأن كل ماكنة تنقية البول لديه توقفت عن العمل، وأن المغارة التي تحافظ على الاختفاء وتحفظه من الظهور في افغانستان أو الباكستان قد تقوضت ودُمرت بالقنابل الامريكية، كما أن المياه الملوثة في الصحراء قد تسببت له بمرض قاتل، وغير ذلك. وكثيرون ما زالوا متعطشين لموت هذا الرجل. مصدر المعلومة هو في بعض الاحيان مقّرب وخفي، أو مصدر استخباراتي مُطلع، وصحف دول الخليج تحصل على اموال طائلة جراء نشر مثلها، كما أن محطات التلفزة والبث التي لا بد لها أن تعمل على مدار 24 ساعة في اليوم وعلى الهواء يكبّرون ويُضخمّون أي خبر عن هذا الرجل، وأن الشيء الوحيد الذي يبقى صادقا في نهاية الأمر ليس إلا القصة ذاتها. ومقابل ذلك، فان بن لادن، حسب كل الدلائل ما زال حيا، ويستمر في الموت باستمرار. وفي هذه المرة، الحديث جاء من صحيفة فرنسية، اقتباسا عن تقرير استخباراتي يفيد بأن بن لادن قد مات، وأن الرد الغاضب للرئيس شيراك، بأنه لا بد من التحقيق في كيفية تسريب هذه المعلومات الاستخباراتية هو الذي زاد على نحو ما «مدى صدق المعلومة». وكالعادة، القصة تدور حول العالم.

وبتجاوز هذه المهمة الصعبة التي تعني اجراء مراسم دفنه، فانه لا بد من التوقف لبعض الوقت عند نقطة التفكير لاستقراء مدى التأثير عندما نتحدث عن شخص من لحم ودم وموته. فبن لادن، الشخص، هو من لحم ودم، لا يشكل في هذه الايام أكثر من خطر بسيط بالنسبة لاستقرار العالم ومسيرته. وأن كونه ملاحقا، كما يبدو، أنه حذر في كل شيء. في الحديث بالهاتف الخلوي، وفي تنقله من نقطة اختفاء الى اخرى، ولكن إيذاء هذا النموذج الذي عُرف بـ«بن لادن» سيكون سيئا. لأن هذا الشخص، بلباسه العمامة وإرخاء اللحية بات نموذجا لمحاربة الغرب عند كل المسلمين حتى وان كان بعضهم لا يوافقه على طريقته. بن لادن يعتبر بطلا في نظر كثيرين، وخصوصا الشبان من بينهم، فهو الذي تحدى امريكا الظالمة الكافرة وتغلب عليها. وصوره تُباع انطلاقا من كابول ووصولا الى شرقي القدس.

وأجيال من الشبان الصغار يفرحون لرؤية صورته، ومن بين هذه الصفوف (المعجبة به) سيخرج من يريد ضرب أبراج اخرى في الولايات المتحدة، وفي اوروبا واسرائيل، وهدمها على رؤوس الأبرياء، وذلك تحت اسم الكراهية الدينية العمياء. هذا الشخص، سواء كان حيا أو ميتا، فقد أسهم بجزء من سمومه التي بثها في شرايين التاريخ الانساني، وما غير ذلك ليس إلا قصصا فقط.

لذلك، فان عملاء مخابرات ذوي الشوارب المزيفة والكفوف الخفية، وكثيرا من الطلعات الجوية «السرية» أو اطلاق صواريخ توماهوك التي تشق الصحارى في طريقها لضرب الأهداف التي يعتقد بأنه يختبىء فيها، كل هذه الاعمال ليست إلا اضاعة للوقت والمال والجهد، وجورج بوش، زعيم العالم المتحضر الآن، يجب عليه أن يوجه تفكيره ويقتنع بأنه يلاحق البعوض بدلا من أن يقوم بتجفيف المستنقع.

لا توجد طريقة سهلة لتحقيق وبلوغ التعليم، والانفتاح والتطور الاقتصادي وتحقيق الديمقراطية في الدول الضعيفة داخل العالم الاسلامي من خلال إظهار الاحترام لثقافتهم وتاريخهم وعدم التعرض أو المساس بتطلعاتهم ونماذجهم. ومع ذلك فلا بد من ايجاد الطريقة والبدء في السير فيها. إلقاء القبض عليه، أو حتى إعدامه (بن لادن)، ومهما كان قدر مصداقية وعدالة هذه العملية من الناحية الاخلاقية، فانه لا توجد فيها أي فائدة في الوقت الذي ما زال فيه العالم مجرد ضحية للارهاب.

اسامة بن لادن

شلومو بيبربولت
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/9/25

سورية تحرص على نقل رسالتين كفيلتين بأن تبدوا متضاربتين

على اسرائيل الاستماع الى دعوات الاسد المتكررة للسلام

■ فور انتهاء الحرب في لبنان ألقى الرئيس السوري بشار الاسد خطابا حماسيا تأييدا لحزب الله ومقاومته لاسرائيل.

وسعى الاسد في خطاب النصر الذي القاه الى قطف ثمار تعرضه للخطر لنقل السلاح الى حزب الله. وفي خطابه دمج النداءات للسلام، «في خطابي في حينه ذكرت كلمة السلام 57 مرة»، تباهى في المقابلة أمس مع صحيفة «دير شبيغل» الالمانية.

سورية تحرص على نقل رسالتين كفيلتين بأن تبدوا متضاربتين. واحدة ايجابية، بموجبها سورية معنية جدا بالسلام مع اسرائيل. والرسالة الثانية، التي تتلوها على الفور، تعتقد بأنه بدون سلام مع سورية ستتدهور المنطقة الى حرب اخرى. على خلفية هذه الامور يشار الى أن سورية لم ترجع جيشها الذي انتشر في حالة طوارىء إبان الحرب في لبنان.

في نظر السوريين لا يوجد تضارب في الرسائل. «الذخائر السلبية» التي تحتفظ بها، كما يسمون ذلك في الاستخبارات الاسرائيلية، هي في نظرها أوراق ضغط ومساومة حيال اسرائيل والولايات المتحدة. وهذه هي تأييد حزب الله والعلاقات الحميمة مع ايران. وهكذا أيضا الرعاية للمنظمات الفلسطينية، بما في ذلك الحرص على منع ضغوط مصرية على رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل، بحيث يحسم لصالح الافراج عن جلعاد شليط. وهكذا هي ايضا تصريحات المنظمات السورية العالمية عن الاستعداد لحرب عصابات ضد اسرائيل في الجولان.

وبالتوازي، تحاول سورية التلميح لاسرائيل برغبتها في استئناف المسيرة السلمية. وأمس حرص الاسد على أن يقول بأنه في وقت السلام «سيكون كل شيء مغايرا» وأن «للسلام الكثير من القوة». وقال انه سينظر في مصافحة اولمرت. ولعل التصريح لا يبدو مثيرا للاهتمام، ولكن هل يمكن تخيل حلفاء الاسد يقولون شيئا مشابها؟ الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد والامين العام لحزب الله حسن نصرالله لن يتجرآ على ذكر اي امكانية باستثناء ابادة اسرائيل كخيار هما معنيان به.

ولكن الاسد يحذر أيضا. وعلى حد تعبيره، فبدون سلام مع سورية لن يكون الاستقرار في الشرق الاوسط وهو يضيف: «اذا كان الامل (بالسلام، ي.ش) سيتبدد، فيحتمل أن تكون الحرب هي الحل الوحيد». في الحرب الاخيرة وصف مسؤول كبير في اسرة الاستخبارات سورية بأنها «الدولة المردوعة في العالم». صحيح أن البنى التحتية السورية ستتضرر بسرعة أكبر من اللبنانية في أثناء الحرب ـ ولكن سورية تشكل تهديدا لا بأس به على اسرائيل.

سورية، مثل حزب الله، استوعبت التغيير في ميدان المعركة والذي اتضح في اثناء الحرب في لبنان. وكفت عن الاستثمار في سلاح الجو إذ فهمت أنها لن تتمكن من التغلب على التفوق الجوي الاسرائيلي، سورية كفت عن تطوير قدرتها على اقتحام هضبة الجولان. اساس المصادر توجه الى السلاح المضاد للدبابات والصواريخ بعيدة المدى.

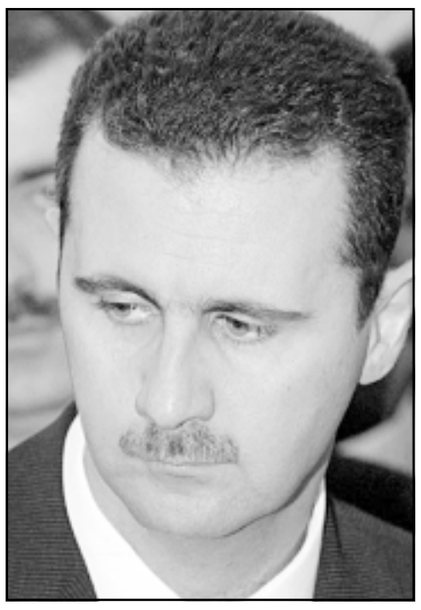

بشار الاسد

الاسد عاد ودعا اسرائيل لاستئناف المسيرة السلمية منذ نهاية 2003، بعد عدة اشهر من قصف اسرائيل معسكر التدريب في عين صاحب المجاور لدمشق. وفي لقائه قبل بضعة اسابيع مع وفد نواب التجمع الديمقراطي قال انه لا يفهم ما ينبغي له ان يعمله كي يقنع اسرائيل باستئناف المسيرة السلمية وذلك على حد تعبيره لانه دعا المرة تلو الاخرى لاستئناف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها. دعوته منذئذ واضحة، وكذا السعر الى جانبها ـ انسحاب اسرائيلي من كل هضبة الجولان.

يوآف شتيرن
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/9/25

ما كان جيدا لبنت جبيل لا يمكن أن يكون سيئا لجباليا

على الأسرة الدولية أن تكسر دائرة الصراع في المناطق بتطبيق القرار 1701 على قطاع غزة والضفة الغربية

■ منذ اندلاع الانتفاضة الثانية التي احتفلت في هذا الاسبوع بالعام السادس من المعاناة والفقدان، اكتسب مخيم جباليا في القطاع لنفسه سمعة باعتباره أحد بؤر الاحتكاك العنيفة بين الاسرائيليين والفلسطينيين. الاسرائيليون اعتادوا قراءة الأنباء حول مقتل المزيد من الاطفال في المخيم خلال مطاردة أحد «المطلوبين»، والولايات المتحدة من ناحيتها سدت آذانها وأصبحت بليدة المشاعر أمام التقارير المتتالية حول الضائقة المتزايدة في غزة. اوروبا تكتفي بالمساعدات المالية القليلة التي ترسلها للسكان عبر قنوات التفافية على حماس، والامم المتحدة تكتفي باصدار قرارات عقيمة ضد سياسة القبضة الحديدية التي تستخدمها اسرائيل من جهة وعجز السلطة من الجهة الاخرى. أما الرباعية فتشغل نفسها بخريطة الطريق، واوروبا تكتفي بمجموعة من المراقبين على معبر رفح بين غزة ومصر.

سألت وزير الخارجية الاسباني موراتينوس عن سبب تدخل المجتمع الدولي في لبنان بعد اربعة ايام من المعارك في بنت جبيل، بينما لم يفعل ذلك خلال سنوات الانتفاضة الست في المناطق، لماذا لم تقترح اوروبا حتى اليوم ارسال قوة عازلة لابعاد تهديد صواريخ القسام عن سدروت ومساعدة السلطة، بما في ذلك في عهد فتح، من اجل تجسيد صلاحياتها وفرض ارادتها؟ «هناك فرق كبير بين لبنان وغزة»، قال السياسي الاوروبي الذي يعرف خبايا الصراع الاسرائيلي العربي. «لبنان خلافا للمناطق المحتلة هو دولة سيادية مع حكم مركزي وقانون وجيش منظم». موراتينوس وعد بأن يصبح من الممكن ارسال قوات دولية الى غزة والضفة لمساعدة الطرفين في المستقبل عندما يتوصل الاسرائيليون والفلسطينيون الى اتفاق. موراتينوس ذكر بأن الوثيقة الختامية لمحادثات طابا 2001 قد تطرقت الى هذه النقطة.

هذه دائرة مغلقة سحرية من الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، فطالما أن المفاوضات حول اقامة دولة فلسطينية بقيت عالقة، فلن تتوقف المقاومة العنيفة للاحتلال، وطالما بقيت المقاومة مستمرة سترفض اسرائيل استئناف المفاوضات لاقامة الدولة الفلسطينية. وطالما لم يتوصل الجانبان الى اتفاق سلام فلن تقوم الأسرة الدولية بارسال قوة حفظ سلام الى المنطقة. التجربة المريرة تشير الى أن الجانبين لا ينجحان في وضع حد للعنف أو التوصل الى تسوية من دون مساعدة من طرف ثالث.

تحطيم هذه الدائرة السحرية المغلقة هو مفتاح انهاء الصراع. على الأسرة الدولية أن تقرر بأن مفاوضات اقامة الدولة الفلسطينية ومساعي انهاء العنف ونشر قوة متعددة الجنسيات ستستأنف دفعة واحدة. الصيغة موجودة في قرار مجلس الأمن رقم 1701، المفروض فقط استبدال كلمة لبنان بعبارة «المناطق الفلسطينية المحتلة» وكلمة «حزب الله» بـ«حماس»، وكلمة «الخط الازرق» بـ«الخط الاخضر»، وهكذا تصبح النتيجة على النحو التالي: «مجلس الأمن يدعو الى نشر قوات فلسطينية وقوات الامم المتحدة في غزة والضفة والوقف الفوري لكل هجمات حماس والاعمال الاسرائيلية العسكرية. المجلس يدعو الجانبين الى تأييد وقف اطلاق نار دائم وحل دائم يرتكز على احترام الخط الاخضر وتحديد ترتيبات أمنية تحول دون تجدد المجابهة بما في ذلك اقامة منطقة عازلة ونزع سلاح الفصائل المسلحة في المناطق. المجلس يصادق على قيام القوة الدولية المكونة من 15 ألف عنصر لمتابعة توقف الاعمال الهجومية وتنسيق عملياتها مع الحكومتين ومساعدة الاجهزة الأمنية الفلسطينية. المجلس يعود ويؤكد أهمية احترام الخط الاخضر ويطلب من الأمين العام للامم المتحدة بلورة اقتراح لتحديد الحدود مع اللاعبين الدوليين ذوي العلاقة».

القرار 1701 مثل باقي القرارات المتعلقة بالصراع ينتهي بعبارة «مجلس الأمن يؤكد الحاجة الهامة الى تحقيق سلام شامل وعادل في الشرق الاوسط بالاستناد الى القرارات ذات العلاقة، 242 و338». اذا كانت هناك «حاجة هامة» فعلا، فعلى الأسرة الدولية أن تبدأ اذن بالتعامل الجدي مع هذين القرارين المفتقرين للأسنان. ما كان جيدا في السنة الماضية لبنت جبيل لا يمكن أن يكون سيئا لجباليا في السنة القادمة.

عكيفا الدار
مراسل سياسي في الصحيفة
(هآرتس) 2006/9/25

لماذا تعترف حماس باسرائيل بعد أن أدى اعتراف منظمة التحرير بها الى توسيع المستوطنات وتبديد مطامح الفلسطينيين الوطنية في الضفة والقدس؟

■ موقف حكومة اسرائيل ـ الذي ينص على عدم الاعتراف بالحكومة الفلسطينية التي يقف على رأسها وينتمي اغلبية اعضائها الى حماس ولا يعترفون بدولة اسرائيل ـ يبدو موقفا مفهوما بالتأكيد. لماذا تعترف اسرائيل بحركة حماس التي أعلنت من قبل دول العالم كتنظيم ارهابي، والتي ينص ميثاقها الأساسي على عدم وجود أساس لوجود ما يدعى من قبلها بالكيان الصهيوني؟.

ميثاق حماس أُعد بعد اندلاع الانتفاضة الاولى في عام 1987، أي قبل 20 سنة تقريبا، وهو يعبر عن واقع سياسي فلسطيني مغاير لذلك الذي كان قائما اليوم. دولة اسرائيل لا تكترث كثيرا بذلك. في السابق بذلت مساع اسرائيلية ودولية حتى تغير م.ت.ف ميثاقها وتعترف باسرائيل. هذا المطلب موجه اليوم لحماس، فهل تستطيع هذه الحركة التغير اليوم؟.

بعض الناطقين بلسان حماس قالوا قبل مدة من الزمن إن قيادة الحركة فوجئت من حجم انتصارها في الانتخابات. نشطاء حماس توقعوا (كما تنبأت الاستطلاعات) بأن تحظى الحركة بثلث الاصوات، وأن تكون على رأس تجمع معارض كبير. ولكنها لم تتوقع الحصول على الثلثين وتشكيل الحكومة الفلسطينية لوحدها. هم لم يحلموا بذلك ولم يستعدوا له. ولو كانوا على استعداد لهذه الاحتمالية لغيروا ايديولوجيتهم المتشددة بعض الشيء وخففوا من خطهم السياسي وقبلوا مثلا بالمبادرة العربية التي تعترف باسرائيل ضمن حدود حزيران (يونيو) 1967 التي حظيت بموافقة الدول العربية عليها. هل أنتم أبطال الى هذا الحد حتى تقفوا ضد كل الدول العربية؟ سُئل اسماعيل هنية ذات مرة.

ولكن، على خلفية الواقع السياسي في الجمهور الفلسطيني يتوجب الافتراض أن صياغات حماس الجذابة لن تستجيب لمطلب الاعتراف باسرائيل، والفجوة بين الجانبين ستزداد اتساعا. ممثلو الرباعية الذين التقوا عشية العيد على خلفية انعقاد الجمعية العمومية للامم المتحدة، ومن بينهم دبلوماسيون امريكيون يدركون ذلك، وبعضهم تأثر بالتأكيد من التوضيحات التي أعطاها لهم محمود عباس.

اغلبية الجمهور الفلسطيني لا تطالب حماس بالاعتراف باسرائيل. هذا ما يُظهره على الأقل استطلاع موثوق أُجري في المناطق. تفسير ذلك يصدر عن الناطقين بلسان حماس في كل زاوية من رفح حتى جنين، والمقبول جدا في المناطق هو: ياسر عرفات وم.ت.ف اعترفا باسرائيل في اوسلو، فما الذي ربحناه من ذلك؟ المعاناة والمشاكل فقط.

الحصار الاقتصادي على غزة والضفة، والتصفيات والاجتياحات والحواجز تفسر كدفاع اسرائيلي عن النفس ضد العمليات. ولكن كيف يمكن تفسير مضاعفة عدد المستوطنين في الضفة والقدس منذ قمة مدريد واوسلو؟ منذ الانتخابات في اسرائيل في عام 1996 وحتى نهاية حكومة باراك تقريبا سادت فترة طويلة من الهدوء الأمني النسبي، ولم تحدث عمليات تقريبا، ومع ذلك تواصل الاستيطان مثل حاله من قبل وازداد عدد سكان المستوطنات في التسعينيات من 100 ألف الى 200 ألف وأكثر.

عندما يقوم الاسرائيليون ببناء أحياء جديدة كبيرة في شرقي القدس (جبل أبو غنيم وتلة شلومو)، ويُوسعون الاستيطان في الجزء الاسلامي من البلدة القديمة وفي سلوان ورأس العامود والشيخ جراح ويطردون العرب من المدينة ويحيطونها بعشرات آلاف المستوطنين اليهود الذين يشكلون حزاما خانقا ممتدا من بيتار عيليت جنوبا وحتى معاليه ادوميم شرقا وجفعات زئيف شمالا ـ انما يُرسلون رسالة واضحة للفلسطينيين ومفادها أنه لا توجد أي فرصة لقيام عاصمة لدولة فلسطين في شرقي القدس، واذا أضفنا الى ذلك توسيع المستوطنات في اريئيل وضواحي رام الله، وفي غوش عصيون الموسعة وجبل الخليل ـ تتحول الرسالة الاسرائيلية الى رسالة واضحة جدا: ليست أمامكم أيها الفلسطينيون فرصة بالمرة. اعترفتم باسرائيل فحصلتم في المقابل على تحطيم آمالكم وتطلعاتكم القومية. فلماذا اذن تعود حماس الى نقطة الاعتراف ذاتها التي رأينا بأم أعيننا ما الذي تسببت به وآلت اليه؟.

داني روبنشتاين
محلل خبير للشؤون الفلسطينية
(هآرتس) 2006/9/25

القوات الاجنبية جاءت بسبب نصرالله

الحرب على لبنان أدت الى خطاب سياسي جديد وعززت المعارضة لحزب الله

■ نصرالله يمكنه أن يصرخ حتى الغد بأن هذه الحرب هي انتصار الهي، استراتيجي، تاريخي. يمكنه أن يلصق بها أي وصف يشاء. الحقيقة هي انه لا يوجد اليوم اي زعيم في العالم العربي يرغب في أن يحل محله، ولا أي أحد آخر ايضا، ذلك أنه من هو المخول بكتابة «المرشد لتخريب دولة في غضون شهر»؟ صحيح أن نصرالله سجل في هذه المعركة سلسلة من الانجازات المعتبرة، أولها نجاحه في البقاء على قيد الحياة. ومحق نصرالله في زعمه بأن رجاله قاتلوا ضد جيش متفوق عدديا، متفوق بالقوة وبالتكنولوجيا وبالدعم الدولي. وبالوسائل البسيطة في ايديهم، تمكنوا من امطار اسرائيل بأكثر من مئة كاتيوشا في اليوم، حتى اليوم الاخير من المعركة دون أن يوقف الجيش الاسرائيلي ذلك.

انجاز آخر هو احباط محاولات الجيش الاسرائيلي استعادة اسيريه، ايهود غولدفاسر والداد ريغف. وكشفت الحرب أيضا عن سلسلة قصورات في اداء الجيش الاسرائيلي وخلفت حروب جنرالات.

ولكن المعركة العسكرية لا تقاس فقط بالانجازات في ميدان المعركة. «حرب تموز» كما تسمى في لبنان، أدت الى خطاب سياسي جديد وعززت المعارضة لحزب الله. لاول مرة في حياته يُطالَب حسن نصرالله، محرر لبنان من الاحتلال الاجنبي، بالقيام بعمل كما فعله جمال عبد الناصر بعد حرب الايام الستة والاستقالة. هو ورجاله مطالبون بأن يجيبوا لماذا كان ملحا بهذا القدر جر الوطن لفقدان الف ضحية وابقاء عشرين الف عائلة دون مأوى. كل ذلك في ذروة الموسم السياحي، وعندما كان الفرع يظهر مؤشرات الانتعاش الاولى بعد عقدين من الزمن.

وفضلا عن ذلك كشفت الحرب بكامل عُريه «المفهوم»، ذاك المفهوم الاستراتيجي الذي يقول ان حزب الله يقبض على رقبة اسرائيل. الجيش الاسرائيلي، حسب هذا المفهوم، لن يشن حربا ضد لبنان، لان الجبهة الاسرائيلية الداخلية معرضة لتهديد صواريخ حزب الله. وها هو تبين العكس التام. اسرائيل شنت حربا رغم التهديد. وميزان الرعب اهتز.

المقبوض الان على رقبته هو حزب الله نفسه. فقد جاءت الحرب الى جنوب لبنان بخمسة الاف جندي من الجيوش الاجنبية. وهم سيتجولون في البر وفي البحر، وسيزعجون رجاله بالاسئلة، وسيراقبونهم ويعرقلون حركتهم. واذا ما قامت هذه القوة الاجنبية بدورها كما ينبغي، فان الاختطاف، وبناء الملاجىء، ووابل الصواريخ، لن تكون سهلة كما كانت في الماضي.

نصرالله سجل «انتصار فقراء». وهذا نصيب من هو محكوم بالفناء، الذي بأعجوبة نجا وبقي على قيد الحياة. بكل معيار آخر، عليه أن يكثر من الاعتذارات. وضعه اليوم معقد اكثر مما كان عشية عملية الاختطاف في 12 تموز (يوليو).

جاكي خوجي
مراسل الصحيفة للشؤون العربية
(معاريف) 2006/9/25

العالم الغربي يتبنى آراء المستشرقين بدون تحفظ وهذا ظلم وإجحاف بحق الاسلام والشرق

■ في الثاني والعشرين من ايلول (سبتمبر) 2006، كان من المفترض أن تهاجم ايران اسرائيل، وربما كل العالم الغربي. لماذا هذا الموعد بالذات؟ لأنه يوافق السابع والعشرين من شهر رجب (حسب التقويم الاسلامي) من عام 1427 الذي هو موعد صعود النبي محمد الى السماء على ظهر جواده الاسطوري البراق. ولماذا الهجوم في هذا اليوم تحديدا؟ لأن ذلك ما قاله المستشرق المعروف برنارد لويس. كان من الممكن الرد على هذه النبوءة بابتسامة عابرة غير مبالية لولا انها أثارت جدلا واسعا في اوساط مجموعة من المثقفين والصحف المعروفة (مثل «وول ستريت جورنال») حيث نشرت بصورة بارزة وتعامل معها السياسيون باعتبارها مقولة علمية تستوجب التفكير والتمحيص.

برنارد لويس، البالغ من العمر 90 عاما «النبي من فرنستون»، يعتبر الأب المؤسس للمجال العلمي المتخصص في دراسة الاسلام والعالم العربي، واغلبية المستشرقين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم يعتبرون بهذه الطريقة أو تلك امتدادا لنهجه الذي اختطه. لويس يتمتع حتى اليوم بمكانة اعتبارية كبيرة ولديه حظوة في البيت الابيض. لم يكن من الجدير التوقف عند نبوءته المدحوضة هذه لولا الأهمية الكبيرة المترتبة على فهم العالم الفكري لمن يتخصصون في العلوم الشرقية، أو عموما في ثقافة الآخر. هذه الأهمية نابعة من حقيقة أن هؤلاء الاشخاص يملكون تأثيرا واسعا على سياسة دول كثيرة، بما في ذلك اسرائيل، وفي بعض الاحيان تتحول مقولاتهم الى نبوءة تحقق ذاتها. صحيح أن هناك مذاهب اخرى، ولكن مذهب برنارد لويس هو المهيمن في مجال الدراسات الاسلامية ومن الأجدر في مثل هذه الحالة التوقف عند بعض فرضياته الخفية والعلنية.

احدى هذه الفرضيات أن ثقافة «الآخر» على شاكلة «ثقافتنا» هي ثقافة متميزة وليست قابلة للمقارنة مع ثقافة اخرى. بذلك يعفي الباحثون في هذه الثقافة أنفسهم من الحاجة لمعرفة العلوم الثقافية والسياسية التي تراكمت في العلوم الاجتماعية عبر الأجيال الأخيرة وتحليلاتهم وتوضيحاتهم تتم داخل فقاعات مغلقة. ليس هناك مثلا أي بحث مبدئي يقارن بين الاصولية المسيحية والاصولية اليهودية وتلك الاسلامية. هم ينسون أن أحد الاشخاص الأوائل الذين عرفوا الصراع «العالمي» الحالي باعتباره حربا دينية كان الرئيس جورج بوش الذي استخدم في سياق ذلك التعبير المسيحي: حملة صليبية.

الافتراض الأساسي الآخر الذي يميز نهج هؤلاء المختصين هو تجاهل عدم التجانس في العالم الاسلامي. صحيح أن المستشرقين يعرفون جيدا أن في صفوف مليار ونيف من المسلمين في العالم توجد تيارات وطوائف كثيرة غير متفقة فيما بينها حول أي شيء تقريبا، وأن هناك حربا ثقافية تدور فيما بينها، ولكنهم يبقون ذلك كسر خفي فيما بينهم. وهناك فيما بينهم شيعة وسنّة، ومع ذلك يصور الاسلام على أنه كيان متجانس يركز اهتمامه فقط على تصفية الغرب وخصوصا اليهود.

العرب منقسمون فيما بينهم في أمور شتى خاصة بين العلمانيين والاصوليين والمؤمنين العاديين الذين يطبقون الشريعة بدرجات متفاوتة من التشدد وفقا لتفسير المرجعيات الدينية المحلية. في العقود الأخيرة تدور الحروب الدينية بالأساس بين المسلمين الذين يؤمنون بأن الدولة يجب أن تكون وفقا للشريعة الاسلامية وبين السلطات العلمانية مثلما هي الحال في مصر والجزائر وسورية والعراق. من الغريب مثلا أنه عندما ادعى بوش أن أحد اسباب غزو العراق هو وجود علاقة بين صدام وبن لادن ـ لم يظهر مستشرقون لتذكيره بأن حكم البعث العراقي (والسوري) هو عدو لدود للاصوليين خاصة اذا كانت مثل القاعدة وبالعكس. التعاون بين سورية وايران لدعم حزب الله كان محددا في الزمان والمكان ونابعا من السياسة السورية الطامحة الى إيلام اسرائيل. اغلبية الباحثين في الاسلام والثقافات العربية جاؤوا من مجال التاريخ الكلاسيكي الذي يركز على النصوص ويقلل من الاهتمام في السياق الذي دُونت فيه هذه النصوص أو قيلت. في كل ديانة وايديولوجيا يمكن أن نجد عبارات مخيفة بحق «الآخر» وبالعكس، وفجوات بين الايديولوجيا والتطبيق. باختصار، يجب الحذر من تبني آراء الخبراء والمختصين من دون تمحيص حتى وإن كانوا بروفيسورات من جامعة برنستون.

باروخ كيمرلينغ
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/9/25

كانت عبارة عن صف طويل من المصطلحات الجديدة المتداخلة مثل «تفعيل» و«حرب السيطرة الفكرية»

ضباط الاحتياط واجهوا لغة جديدة في الأوامر العسكرية لم يتمكنوا من فهمها وبالتالي لم يتمكنوا من الأداء الصحيح وتنفيذ الأوامر

■ لجنة القاضي فينوغراد بدأت هذا الاسبوع عملها الاول، حيث بدأت خمسة طواقم في الفحص داخل الجيش الاسرائيلي. ووفقا لكتاب التعيين الذي نشر، فانه يتوجب عليها أن تفحص مدى الاستعداد لدى المستوى السياسي والمؤسسة الأمنية ازاء تهديد حزب الله منذ انسحاب الجيش الاسرائيلي من لبنان، في شهر أيار (مايو) 2000، وكذلك تصرفاتهم في الحرب التي اندلعت في صيف 2006، فكيف ستنجح في عملها وتحقق انجازا، دون أن تعمل بشكل سطحي، وبفترة زمنية قصيرة لتحقق عملا تاريخيا من هذا النوع، مع أنها تحتاج الى تحقيق جذري في عمل متواصل على مدار سنوات، فانني أدعو الله لاعضائها بالنجاح والقدرة، ولذلك فانني أشك بأن يكون لها الوقت الكافي للتعمق في القضايا والمناحي التي وجهت للعمل فيها، والمعروفة جيدا لكل رجال قوات الاحتياط الاسرائيلية، وطبيعي على جميع المستويات ولا سيما المستوى القيادي. فهذا هو الموضوع «العملقة» اللغوية التي استولت وسيطرت على الجيش الاسرائيلي على مدار السنوات الأخيرة، وخصوصا في أعقاب الانسحاب الاسرائيلي من لبنان والذي أرى به مقدمة أكيدة لحرب قوية وعميقة للجيش الاسرائيلي كان قد تورط بها.

نحو سنة قبل اندلاع الحرب اللبنانية الثانية، نشرت مقالا في هذه الصفحة حول هذا الموضوع. وذكرت هناك عددا من النماذج على مثل هذه اللغة، وها هي واحدة منها، والتي كتبت على يد أحد كبار الذين خدموا في الجيش الاسرائيلي والذين أرادوا أن يحققوا في نظرية هذه المعركة:

«من ناحية نظرية، فان مجموعة تعمل داخل العمق الكبير تعتبر مجموعة مقيدة نسبيا. ومن ناحية قدرتها في المعركة، وحيث انها متعددة الأبعاد والوظائف والمهام القتالية الارضية، فانها تكون قادرة على العمل بموجب توجيه صحيح. ومن ناحية شكلية، فان التوغل البعيد داخل الارض يجب أن يرافقه قوة جوية وبرية على بُعد كامل واحاطة كاملة، وهذه القوة تكون قادرة على الحركة دون قيود وبوسائل مختلفة في ميدان القتال ودون الاعتماد على غيرها إلا بما تُقر به النظرية العسكرية المعروفة، وميدان المعركة نفسه يشتمل على العديد من نظريات القتال التي يعرفها كل قائد عسكري ميداني، فالتوغل في عمق اراضي وسيطرة العدو لا بد أن يكون متزامنا ومترافقا في التنظيم والتسليح والامداد كما يجب».

لم أنجح أبدا في فهم هذا المقطع من النظرية التي كتبتها. ولم أنجح في فهم المعنى الذي لم يفهمه الآخرون ايضا، لأن نظريات الجيش الاسرائيلي كما توضع في الأطر العسكرية على المستوى القيادي، ولا سيما عند الفئة العليا من قوات الاحتياط، على أساس تمكينها من فهم التغييرات النظرية والتنظيمية المختلفة التي سيحاربون وفقها، فجميعنا اعتقدنا، وقلنا ذلك بصوت مرتفع، بأن الحديث يدور حول لغة جديدة وطالبنا بتلقي تفسيرات وتوضيحات بعبرية سهلة، وتكون مفهومة للجميع، ولكننا لم نحظ بأي اجابة. ومن وراء الظهر كانوا يتصرفون كما يريدون ونحن نتقدم دون أن نفهم ماذا يريدون.

ويبدو ان نفس قائد كتيبة الاحتياط، الذي تلقى أوامر في الحرب اللبنانية الثانية على غرار «الانتشار في المنطقة»، هي قديمة نسبيا، وهو كما يبدو لم يفهم عما يتحدثون، وطالبهم بالشرح وبالمزيد من الشرح.

إنني أشعر بشك كبير اذا كان الكثيرون في الجيش الاسرائيلي النظامي قد فهموا لغة الخراطيم والقنوات، ولكن حيث أن هذه اللغة هي لغتهم الرسمية فانهم لا يستطيعون التنكر لها أو الشكوى منها، فهي لغتهم سواء فهمها البعض أم لم يفهمها.

الكلمات «الاصطلاحية» تحولت الى أساس، وتغطية للتفكير المتردد والمتردي، واحتلت الكلمات مكان الأفعال في العمل العسكري، وهذا ما حدث على غراره داخل الجيش الاسرائيلي من حيث تغيير التفكير وانعكاسه على تغيير اللغة.

الشريك في هذه اللغة الجديدة كان عبارة عن صف طويل من المصطلحات الجديدة المتداخلة مثل «تفعيل» و«حرب السيطرة الفكرية»، وهذه المصطلحات قوبلت بعدم الفهم، وهذا ما انعكس على مجريات الحرب. وعلى سبيل المثال فان بنت جبيل كانت من الناحية الفعلية ليست أكثر من فكرة عسكرية خاصة اعتقدوا أنها تضر في بنى وقدرة حزب الله. اذن لماذا حاولوا احتلال هذا المكان؟ فقط لأن حسن نصر الله في وقت سابق ألقى خطابا في ذلك المكان ووصف الاسرائيليين بصفات أزعجتهم، وبالتالي حاولوا الآن أن يردوا الصاع صاعين.

وعلى هذا الأساس فان نظرية التفعيل في هذا السياق لم تحقق الانجاز العسكري الواضح والذي «استهدف» الانتقام من موقف سابق دون التفكير بأي معنى ومغزى سياسي أو عسكري الذي اختفى فعليا في تلك المعركة. وبدلا منه احتل مصطلح «المنحنى الاستراتيجي» مكانه، ويمكن أن يكون هذا مفهوما للبعض لكنه كان بلا جدوى من الناحية العسكرية التي فقط كان لها وقع سيء ومردود عملي اسوأ.

الجيش الاسرائيلي ليس يتيما، فهو جزء من الثقافة العامة للمجتمع الاسرائيلي، هناك تركيز قوي على المصطلحات اللغوية واستعمالاتها دون أن يخترع لنفسه لغة جديدة وبالتالي لا يفهمها من يدخل الى هذا الجيش حين يُستدعى اليه ويشعر بأنه بات منفصلا عن الجيش بالمفاهيم والطلبات والأوامر، فاسبوع واحد قبل اندلاع الحرب، حيث صرح الكثيرون بأننا «أخيرا أخيرا عندنا وزير دفاع»، لم يروا ذلك، فلماذا؟ لأن وزير الدفاع أعطى للحكومة تقريرا مطولا وممتازا، بل حتى ان هذا التقرير تلقى المديح من رئيس الوزراء!.

اذن، تحيا الكلمات!.

لقد بدأت سنة جديدة، فمن يعطي لرئيس هيئة الاركان حلوتس الحق باستعمال هذه اللغة وهذا التفكير وهذا النوع من التصرف داخل الجيش، فهذا كله لا يحتاج الى طواقم لكي تحقق.

عاموس غلبوع
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/9/25